BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

منتدى الحوار

Dialogue Forum

(DF)

المرأة والتنمية بين الموروث الثقافي والواقع المصري

د.صلاح فضل:

أصبحت المرأة مثار اهتمام مكثف في السنوات الأخيرة وربما في الآونة الأخيرة وبخاصة عند الحديث عن تمكين المرأة، لكن الواقع أن وضع المرأة المطحونة بين شقي الرحى بين الموروث الثقافي من ناحية وبين التجارب والخبرات المعيشة في الواقع من ناحية ثانية يمثل إحدى العلامات البارزة التي يمكن قياس أي مجتمع بها فتقدم المجتمعات له مقاييس كثيرة بعضها مادي وبعضها معنوي لكن عيني الشيخ الأزهري الأول رفاعة الطهطاوي الذي ذهب إلى باريس ليلخص إبريزه في وصفها لم تخطئ عندما كان أبرز ما لاحظه من الاختلاف الجوهري بين المجتمع المصري والمجتمعات الغربية عامة والفرنسية على وجه الخصوص منذ مطلع القرن التاسع عشر هو استقلال المرأة وحريتها وشراكتها للرجل في الحياة العامة، أدركت عين هذا الشيخ المتفتح أن ذلك يمثل سرا حقيقيا من أسرار تقدم المجتمع صدق في البداية لأنه يخالف موروثه من تقاليد وعادات لكن لم يلبث أن أدرك أنه مظهر من أقوى مظاهر التقدم أشار بذلك بشيء كثير من الشجاعة في تلك الآونة .

حوارنا هذه الليلة يدور مع واحدة من رموز المرأة المصرية والعربية المعاصرة أتيح لها منذ طفولتها أن تشرب أسرار علم الاجتماع من أبيها الذي كان أحد رواده الكبار.

أتيح للطفلة سامية الساعاتي أن تنمو على يد الدكتور حسن الساعاتي. هذه الفرصة الذهبية لا تتاح لكثير من النساء إلى جانب والدها وهي الدكتورة فوزية دياب رئيس قسم علم النفس

جامعة عين شمس فهي نتاج علمي مشرف لهذه الأسرة. لكن كثيرًا من أبناء العلماء ما يكذبون علم آبائهم ويخالفونه أما الدكتورة سامية الساعاتي فكانت منذ طفولتها المتفوقة دائما على أقرانها، كانت دائما الأولى، وفي مطلع شبابها منذ دراستها في كلية الآداب كطالبة لامعة وأستاذة متفوقة ومؤلفة مثابرة دءوبة كانت من الأمثلة النادرة التي تتواصل فيها الأجيال وتنمو وتتقدم وتنجز على يديها رسائلها المختلفة .

استمرت الدكتورة سامية الساعاتي في تنمية طاقاتها الأكاديمية والعلمية لكنها كانت موهوبة في أمرين آخرين ساعداها كثيرا على أن تبتكر نمط إضافاتها وإنجازاتها لمحصلة علوم الاجتماع في الثقافة المصرية والعربية المعاصرة كانت تمتلك حسًّا إبداعيًّا،كتبت الشعر وممارسته ونشرت مجموعات طبع بعضها ومازال بعضها رهن الطباعة كما تقول في سيرتها الذاتية لكن هذا الشعر يذوب في كتابتها وفي اختياراتها للموضوعات التي تدرسها عندما تدرس مثلا مشكلات السحر في المجتمع المصري أكاد أرى في هذه الدراسة شيئًا من الاقتران بين السحر والشعر لأن كلاهما ينبع من عالم واحد وكتبت القصة القصيرة ثم انطلقت في الحياة العامة لم تحبس ذاتها في إطار العمل الأكاديمي في الدراسات والكتب المتخصصة التي أعطتني قائمة عبرت لها عن عدم رغبتي في قراءتها لأنني لا أحب قراءة الكتب وأحب قراءة الأشخاص والرسائل والأعمال والأهداف قبل السطور والكتب المدونة، والجانب الثاني الذي تميزت فيه أنها عرفت منطقة قوتها والنقطة التي يمكن أن تتفوق فيها فعمقت دون غيرها من أساتذة علم الاجتماع فرعا جديدا تقول إنها أنفقت في دراسته خمسة وعشرين سنة وهو فرع علم اجتماع المرأة وهو مثير لكثير من العجب والإعجاب.

واسمحوا لي بدقيقة واحدة دون أن أستهلك وقت الدكتورة سامية الساعاتي فلها بعد ذلك كل الوقت الذي تريده لكن أطرح عليكم وعليها سؤالا مريرا كان يحيرني ولازال فيما يتصل بأوضاع المرأة ربما تجد في علمها عن السحر أو في علمها عن علم اجتماع المرأة ما يجيب عن هذا التساؤل، فأنا مثلا مشغول بقضايا النقد الأدبي وقضايا الإبداع شعرا وقصة وغير ذلك من أشكال الإبداع وقد لاحظت في الثقافة العالمية بأكملها – وليس الثقافة العربية فحسب – أن

مشاركة المرأة في عمليات الإبداع كانت شديدة التواضع عبر التاريخ، وأن الشاعرات اللاتي يمكن حصرهن مثلا في تاريخ الثقافة العربية معدودات على الأصابع و لم يضفن شيئًا جديدا وكان معظمهن من الجواري والإماء ولسن من الحرائر.

الشعر له مصدران العاطفة والقدرة اللغوية، ومن الواضح أن المرأة أقوى عاطفة من الرجل وأشد انفعالاً وأذخر شعرًا، ومن الواضح أن المرأة تمتلك موهبة قوية فائقة في الثرثرة والكلام ولو قدر للأطفال أن يعيشوا بصحبة رجال لنشئوا مثلهم لا يملكون قدرة الحديث لكن من حسن حظنا رجالا ونساء أننا ننشأ في كنف النساء حيث يحدثن أنفسهن ويحدثن غيرهن ولا يكففن عن الحديث طيلة الوقت فالمرأة لديها فائض في قدرة اللغة وفائض في العواطف لماذا لم تكتب الشعر إذن؟ لابد أن هناك شيئًا جوهريًّا كان ينقصها وكان يمتلكه الرجل وأنا أحسب هذه فرضية أرجو على هامش محاضرتها أن تعطني بعض الإجابة عن مدى صدقها، أحسب أن المعادلة الأساسية لأي إبداع سواء كان شعرًا أو نثرًا تتكون من عاطفة + لغة+ حرية ونصيب المرأة من الحرية كان دائما منقوصا في تقاليد كل الشعوب وفي تاريخ جميع الثقافات وليس في تقاليدنا العربية أو ثقافاتنا القومية فحسب.

المرأة إذن طاقة كانت معطلة وبدأت تستعيد قدرتها على الفاعلية والنفاذ منذ أن امتلكت أسباب العلم ومنذ أن أمسكت بزمام الحرية ومنذ أن أصبحت أستاذة تدرس وتطبب المرض وتشخص علته وترسم طريقه ومستقبله، إن أي مجتمع أو أي واقع يمتهن المرأة فيحد من حريتها ويكبلها بالأغلال يلغي إنسانيتها وطاقاتها الإبداعية هو مجتمع معوق برجاله ونسائه لأننا جميعا من تربيتها ولأننا جميعا مدينون لها وإلا لم نمكن لها في قلوبنا وفي مجتمعنا .

أحسب أنني قد أخذت من الوقت في هذا التقديم ما لا أستحق وأن التي تستحق الحديث والتقديم هي الأستاذة والمبدعة وريثة العلم والفكر والثقافة عالمة الاجتماع طبيبة المجتمع وشاعرته الأستاذة الدكتورة سامية الساعاتي.

سامية الساعاتي:

بعد هذا التقديم الجميل والثري والذي أرى فيه من روعة الكلام ما يجعلني لا أجد بعد ذلك ما أقوله إلا الشكر كل الشكر إلى جانب أن الأستاذ الكبير الدكتور صلاح فضل قد أمتعنا في هذه المقدمة وأفادنا وقد سأل سؤالا وأنا لا أريد أن أبدأ دون الإجابة عن هذا السؤال وبخاصة أنه يمس موضوع هذا الحوار بشكل جوهري وهو لماذا تعتبر المرأة مقلة في الإنتاج الأدبي والشعري بوجه عام؟ فمسألة الحرية التي تحدث عنها الدكتور صلاح فضل هي شيء مهم جدا ولذلك نجد بنت الشاطئ وهو اسم مستعار، أيضا جورج صاند كان اسم رجل في حين أن كل هؤلاء سيدات فضليات كانت لهن موهبة وإسهام لا يمكن إغفاله أو إنكاره، لكن المناخ العام والموروث الثقافي كان يمنع المرأة من أن تعبر عن نفسها فكانت ترتدي ثياب رجل وتوقع على أعمالها باسم رجل حتى تجد لها مكانًا لتنشر فيه إنتاجها فلو أنها مثلا قالت عائشة عبد الرحمن لم تكن لتجد مكانًا لنشر أعمالها فيه إنما اسم بنت الشاطئ هو اسم مبهم غامض مثل بنت البحر، أيضا جورج صند اتخذت لنفسها اسمًا ذكريا لتفسح لنفسها مكانا تحت الشمس.

ولكني أتساءل فلدينا الخنساء مثلا وكانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يستمع لشعرها فهل كان هذا العهد أكثر حرية؟

لاشك أن النساء فيه كانوا يحصلون على حقوقهم التي ينص الإسلام عليها وليس لحقوقها التي ندعيها اليوم والتي تذهب أن الإسلام يقول ويقول، فقد كانت الفترة الزاهية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان يقول النساء شقائق الرجال وقد دافعت عنه صلى الله عليه وسلم سيدة عندما كسر سنه وكانت المرأة تقوم بالتطبيب وبأشياء كثيرة جدا.

لكن يبدو أنه كلما تباعدنا عن هذا العهد الزاهي تقهقرنا وهذا له أسبابه وهي أسباب كثيرة مجتمعية فأنا أرجو أن أكون أسهمت إسهامًا بسيطًا لكن أيضا نرجع للموروث الثقافي

وكيف يرى المجتمع المرأة لأن المرأة لم تكن لتغير اسمها وتستخدم اسما مستعارا ما لم يدفعها المجتمع لذلك كي تجد لنفسها مكانًا تحت الشمس .

وأبدأ حواري معكم بأني سعيدة لوجودي بينكم وأتوجه بالشكر لأسرة مكتبة الإسكندرية صغيرها وكبيرها وعلى رأسها الدكتور إسماعيل سراج الدين على دعوته الكريمة لي بالتحدث في منتدى الحوار والحقيقة أنني حينما أحضر إلى مكتبة الإسكندرية أشعر وكأني بين أهلي فلقد عشت في الإسكندرية لفترة طويلة والتحقت بمدرستين في الإسكندرية مدرسة جليم ومدرسة مصطفى باشا، ولي أهل في الإسكندرية بمعنى أن الإسكندرية أصبحت بالنسبة لي موطنًا ومكتبة الإسكندرية أيضا بالنسبة لي موطن.

وأنا أحضر إلى مكتبة الإسكندرية لعضويتي في اللجنة الاستشارية الاجتماعية للمكتبة فأنا أشعر وكأني في منزلي ولست غريبة وأجدد الشكر للدكتور صلاح فضل لتقديمه الرائع لي.

وأقول في بداية الحوار إن الحديث في مجال المرأة بالنسبة لي محبب جدا لأن هذا الموضوع قد تناولته منذ تخرجي في الجامعة وقد تخرجت قبل سن العشرين وحصلت على درجتي الماجستير والدكتوراه في موضوعات المرأة ولي فيها دور قوي. بعد هذا أخذت طريقي في الحياة بعد أن قررت أن أفرد في حياتي مكانًا لدراسة المرأة بخاصة والأسرة المصرية عامة وقد كان الكلام عن هذا المجال ما يزال حديث العهد فقد كانوا مازالوا يتحسسون طريقهم في هذا الميدان وقد ثابرت فيه وركزت على دراسة الأدوار النوعية التي يطلقون عليها الآن مصطلح Gender ليس فقط بحضور المؤتمرات وكتابة أوراق العمل فقط إنما ظللت أدرس أدوار المرأة المختلفة وتأثيرها على المجتمع وتأثير المجتمع عليها ثم سرت في هذا المنهج وعندما أصبح الكلام عن المرأة شبه موضة أعتقد أنه يوجد أيضا في العلم موضة وقد شعرت أنني سبقت الموضة وسبقت الاهتمام بالمرأة ودرستها دراسة عميقة عن كثب وأنني كنت قد خصصت

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

الكثير من أبحاثي لدراسة المرأة المصرية وكنت حريصة على شيء معين وهو مدخل حديثنا اليوم.

فقد كان حرصي دائمًا على **دراسة المرأة الريفية** جنبا إلى جنب مع **دراسة المرأة الحضرية** لأن الريف في مصر غالبية فلا نستطيع الكلام عن المرأة المصرية في الحضر فقط ونترك الريف لابد أن نتكلم عن المرأة الريفية والحضرية معا ولا نغفل المرأة البدوية أيضاً والمرأة في محافظات الحدود والمرأة في السواحل. وأيضا ننتبه جيدا للتفردات في الثقافة المصرية، مثال ذلك المرأة في الصعيد وهي تختلف عن المرأة في وجه بحري، من أجل هذا قد بدأت هذه البداية كي أقول لكم إن مقولة المرأة المصرية مقولة مضللة فلا يوجد شيء اسمه المرأة المصرية بالمعنى الشامل للكلمة إلا إذا كنا نريد التحدث في مستوى الماكرو macro أي علم الاجتماع في مستواه العريض الشامل الـ macro sociology .بمعنى أوضح نتكلم عن تعميم مقولة المرأة المصرية. صحيح هناك المرأة المصرية الريفية والحضرية والبدوية وتوجد قسمات عامة مشتركة بينهن لكن هناك ملامح نستطيع أن نقول أنها توجز في شيء اسمه الشخصية القومية المصرية .بمعنى لو قلنا بماذا تتميز المرأة المصرية فهناك قسمات واضحة تشترك فيها المرأة البدوية والريفية والحضرية. فدراسة المرأة المصرية تكون لها بصفة عامة على المستوى الـ macro ثم بعد ذلك الدقائق والتفاصيل على المستوى الـ micro.

فالمرأة المصرية في الطبقة الدنيا الحضرية تختلف عنها في الطبقة العليا الحضرية وكلتاهما حضرية فليس هناك شيء معناه التعميم وأن المرأة المصرية تتسم بكذا وكذا وكذلك المرأة الريفية تختلف عن المرأة التي تعيش في المدن الساحلية، فالمرأة الساحلية حتى في الطهي تختلف فهي لها أطعمة بحرية معينة مثل الأسماك وطرح البحر من أنواع مختلفة ولها طريقة وأسلوب حياة يدخل في طريقة طهيها وحياتها كل هذه انفرادات يجب الانتباه إليها . لذلك عندما أتكلم عن المرأة المصرية لابد أن أركز على الجانبين الماكرو والمايكرو أي الشامل العريض والدقيق المفصل.

ولابد من التركيز على المرأة الريفية بمفردها ثم المرأة الريفية والحضرية معا وأيضا الانتباه للمقارنات بمعنى أنه لا نستطيع أن نقول إن المرأة المصرية تعلمت ثم نسكت فأين تعلمت؟ لابد أن أعرف أين تعلمت ونسبة التعليم وصلت كذا ونصفق لهذا فقط وأين الباقي ولماذا تغاضينا عنهن؟ وهكذا، وهؤلاء هن النساء الريفيات اللائي يشكلن 70% من مجموع النساء المصريات.

هذا مدخل ينبغي الانتباه له جيدا مدخل الماكرو والمايكرو، والمرأة الحضرية والريفية والبدوية ...إلخ، وهذا لا يمنع أنه هناك ما يسمى بالمرأة المصرية كشخصية قومية لها قسمات يشترك فيها كل أنواع النساء المصريات فلو تساءلنا ما هو أكثر ما يميز المرأة المصرية يمكن القول إن المرأة المصرية في كل هذه التقسيمات تتميز بالحياء فكلنا تربينا على الحياء سواء في الريف أو الحضر أو المنطقة الوسطى الريفية الحضرية التي نقول عنها فيها القسمات الريفية والمدنية مثل كل الأحياء الشعبية فكل الـ slummy areas هي مزيج من المدينة والريف معاً فمن الممكن أن نجد الناس فيها يسلكون سلوكًا ريفيًّا ولكنهم من الحضر ونجد بعض الأسر يعيشون في القاهرة ويوجد بمنزلهم مكان لتربية الطيور وفرن للخبز داخل المنزل وهي ملامح ريفية خالصة في إطار حضري. كل هذا يجعلني حريصة وأنا أتكلم عن المرأة دائما أن أعرف في أي موضوع أتحدث وعمن أتحدث.

شيء آخر وهو أن هذه المحاضرة أو الحوار معكم مهم بالنسبة لي ولكم، لأنه عن طريق الحوار تثري الأفكار وتطور المفاهيم وأعتقد أن حوارنا اليوم مهم مجتمعيًّا كما أرى أننا نمر في هذه الفترة بمجموعة أو سياق من المتغيرات العالمية وربما أننا عندما نشاهد التليفزيون أو نسمع الأخبار المختلفة والمثيرة، نجد أن التحديات التي أمام المرأة الآن تختلف عنها في الماضي عندما كان التغير الاجتماعي رتيباً وكان بطيئا وتقريبا نشعر من بطئه أنه لا يوجد تغير. إذن، فكل هذا يزيد من أهمية دراسة المرأة في مصر، فالمرأة المصرية هي بؤرة الاهتمام بالنسبة لي والمجتمع بأسره.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

ولو تأملنا عنوان الندوة وهو "المرأة والتنمية بين الموروث الثقافي والواقع المصري" نجد أنني قد تكلمت عن المرأة المصرية وما أريد إبرازه بشأنها، وبقي أن نتكلم عن شيء مهم وقد تناولناه كثيرا وتحدثنا فيه كثيرا ولكن يهمني أن أوجزه وهو الكلام عن التنمية ودور المرأة فيها، فكل إنسان في مصر لابد أن يشعر بأهميته وفاعليته وهذا ما تقتضيه العدالة الإنسانية فالتنمية في كبسولة هي عبارة عن توجيه للجهد الإنساني لأقصي طاقات التي تسمح بأقصى درجات الكفاءة بحيث يكون الفرد قيمة مضافة وليست منقوصة للمجتمع، فعندما ننظر للمرأة غير العاملة نجد أن إضافتها للمجتمع أنها تنجب العديد من الأبناء ليس لأنها تريد ذلك إنما رغبة منها في تمكين نفسها وتثبيت مكانتها في أسرتها، وهنا يتدخل الموروث لأن هناك من الأمثال الاجتماعية لدينا ما لابد من أخذه بكثير من الاعتبار لأنها تلخص حكمة أشخاص عاشوا قبلنا وعرفوا قبلنا وقالوا هذا الكلام ليس من فراغ وإنما من خبرات وعندما يقولون على السيدة "حطت عجلها ومدت رجلها" والمقصود بالعجل هنا هو الذكر بمعنى أنجبت الولد الذكر وأمنت على نفسها في الأسرة، طبعا مثل موجع لكن موجود، فمسألة إنجاب الذكر موجودة ولازالت حتى بين أساتذة الجامعة، ولي زملاء درسوا في أمريكا وأوروبا ولا يزال إنجاب الولد عندهم مطمح، وهناك موقف يشرح ذلك حدث مع أخ وزميل من الجامعة لديه ابنتان وكنت أحدثه عن زوجته والتي كانت تنتظر حادثاً سعيداً عن توقعه للمولود هل سيكون ذكرا أم أنثى فغضب كأنما مولد البنت مشكلة كبيرة، وجاءت الثالثة بنتا أيضا فاغتم غما شديدا ! وطبعا نحن لو طبقنا تعاليم الإسلام – ونحن أمة مسلمة — نرى أنه يحذرنا من الشخص الذي يبشَّر بالأنثى فيسود وجهه وهو كظيم بمعنى يحدث لديه ضيق كأنما بلغ بخبر سيئ . وهذا يعني أن الإسلام ضد التفرقة بين الأبناء بسبب نوعهم، ولكن ما يحدث في الواقع رغم ارتفاع نسبة التعليم والمعيشة بالحضر وبالخارج أحيانا هو شيء آخر، إنه تكريس للموروث الثقافي، والمثل يقول " لما قالوا لي ده غلام انشد ضهري واستقام ولما قالوا لي دي بنية انطبقت الدار عليا" !

وهناك موقف آخر تكرر من الواقع الاجتماعي الذي سيطر عليه الموروث الثقافي، فهو عن زميلي بقسم الاجتماع حيث تزاملنا عاما بعام أنهينا دراستنا وتزوج كل منا وكنت أسأله مرة عن زوجته فأجابني أنها أنجبت بنتا وأنه رفض رؤيتها فقد ذهب للمستشفى ليرى

زوجته والمولود فأخبرته الممرضة بأنه رزق بنتا فقام بالانصراف من فوره و لم يطمئن على زوجته أو حتى يرى ابنته المولودة. أين يحدث هذا الكلام؟ في القرن العشرين في منتصف الثمانينيات، ومن يتحدث بهذا المنطق زميل في قسم الاجتماع دارس للموروث ولكل هذه العلوم. فأحب أن أقول إن الموروث الثقافي أحيانًا يكون أقوى من الناس مع اختلاف مستوياتهم التعليمية والاجتماعية ويصبح ما درسوه في اتجاه، والواقع الذي يعيشوه ويمارسوه في اتجاه آخر تابع للموروثات الثقافية.

نحن نقول إن المرأة نصف المجتمع وهناك من يقول إنها مسئولة عن النصف الثاني فهي بذلك تكون كل المجتمع، دعونا نتكلم عن نصف المجتمع المعطل وماذا يعني؟ ما مصير التنمية حينئذ؟ معنى هذا أن التنمية ستكون handicapped .بمعنى أن هناك معوق للتنمية في هذا المجتمع وهذا مع زيادة السكان وأيضا أقولها لأننا إذا أنجبنا بنتا لابد أن ننجب الولد وكل هذه الأشياء ليس فقط لأن الأولاد يأتون ومعهم رزقهم، وإنما من أجل الكثير من الأشياء لأننا في الريف نقوم بتشغيل الأولاد في أعمال الحقل وليس مثل الحضر نقوم بتعليمهم في أفضل المدارس وإعطاؤهم دروسا خصوصية فالولد في الريف يعتبر مكسبا لأهله لأنه من صغره سوف يعمل .

كثرة السكان مع تعطيل نصف المجتمع تقريبا لا تحتاج لإعادة نظر، لأنه كيف يتأتى أن تحدث التنمية في مثل هذا المجتمع ؟ وهذا تساؤل وعلينا أن نفكر فيه ونحاول معرفة ما يمكن أن يحدث.

نتكلم بعد ذلك عن شيء مهم فإذا كنا قد تكلمنا عن التنمية في كلمة ونصف لأني أركز على الموروث الثقافي الذي يعتبر سببا في عدم مشاركة المرأة وتأخرها كثيرا وسبب ذلك كما تساءل الدكتور صلاح فضل لماذا لا تملك المرأة الحرية كما تملك القدرة على الكتابة والعاطفة ؟ من أجل ذلك هي لا تشارك إنما كثير من السيدات لديهن كل شيء ولكن هناك قيد عليهن وكلنا نعلم أنه قديما كانوا يطلقون على النساء "السيدة المصونة والجوهرة

المكنونة" بمعنى أنها لا تخرج من المنـــزل ولا أحد يراهـــا فـــإذا رغبـــت ســـيدة في تفـــصيل ملابـــس تذهب لها الحائكة فلا خروج من المنـــزل بمفردها عكس وقتنـــا الـــراهن، وكـــل هـــذا حـــتى تظـــل السيدة المصونة والجوهرة المكنونة وكان هذا هـــو الاعتقـــاد أنـــه كلمـــا أحطناهـــا بـــسياج قـــوي وأخفيناها وأبعدناها عن العلاقات والتفاعلات الاجتماعية الطبيعية فـــنحن هكـــذا نـــصونها، هنـــاك كلمة "ربنا يستر عرضك" وهي تعني أمنية بالزواج السريع لئلا تحـــدث أيـــة انحرافـــات لتظـــل بعـــد الزواج كما هي "السيدة المصونة والجوهرة المكنونة".

وكانوا كثيرا ما يقولون قديما إن المرأة المصرية وخاصـــة الـــصعيدية لا تخـــرج مـــن بيتـــها إلا مرتين، مرة من المنـــزل إلى بيت زوجها ومرة إلى مثواها الأخير، وطبعا هـــذا شـــيء لنـــا أن نـــسأل فيه من ناحية الموروث الثقافي وبما أننا نتكلم عن الموروث الثقافي فلابد أن نـــذكر مـــا هـــي الثقافـــة؟ تايلور عالم الأنثربولوجيا الشهير قال إن الثقافة هي مجموعـــة العـــادات والتقاليـــد والقـــيم والمبـــادئ واللغة وكل ما أنتجه عقل الإنسان ويده، فكل هـــذا هـــو يـــسميه الثقافـــة ، وأنـــا أسميـــه بطريقـــة بسيطة جدا أسلوب حياة مجتمع من المجتمعات، بمعـــنى إننـــا نـــستطيع أن نقـــول إن هنـــاك أســـلوب مصري للحياة وهناك أسلوب أمريكي وأسلوب إنجليزي .. وهكـــذا، أســـلوب الحيـــاة كلـــه يعـــني مجموعة العادات والقيم التي تميزنا عن غيرنا.

بعد ذلك، الموروثات الثقافية كلها عبارة عن قيم ونحن نعلـــم ببـــساطة أن القـــيم نـــسبية فما له قيمة عندي قد يكون غير ذي قيمة عند غـــيري والعكـــس، مثـــال ذلـــك شـــخص يفـــضل سماع الموسيقى والآخر لا وهكذا فهذه الأشياء فيها قـــيم نـــسبية وأيـــضا ســـلم افتراضـــي للقـــيم. فسلم القيم value scale عبارة عن أننا نعتنق قيمـــا معينـــة أو بالنـــسبة لنـــا هامـــة وجوهريـــة ولكن لكي تسعدي في زواجك مثلا مع شخص ما فليس فقط مـــن الـــضروري أن تكـــون قـــيمكم واحدة وإنما أن يكون ترتيبها أيضا واحدا، فسلم القيم لديك يتوافق بـــل يتماثـــل مـــع ســـلم القـــيم لديه بمعنى أنه بالنسبة له المال مثلا هو أول شيء في الـــدنيا، ولـــديك أنـــت هـــو آخـــر شـــيء وأول شيء هو الأخلاق أو الدين أو التعليم، في حين من الممكـــن أن يكـــون العلـــم عنـــده آخـــر شـــيء،

فمن هنا لن يكون بينكما توافق وسوف يكون هناك خلاف، فعندما يكون أول شيء عنده هو المال ويسعى وراءه وأنت على عكسه فسيكون هناك شد وجذب.

هناك عادات اجتماعية وهي مهمة في مجتمعنا المصري جدا وقد أثرت في المرأة بشكل كبير ولمعرفة أهمية العادات الاجتماعية في الموروث الثقافي يقول باجوت Bagehot وهو عالم أنثربولوجي شهير أن الإنسان حيوان صانع عادات، فالعادات الاجتماعية قوية شديدة التأثير وبخاصة عندما تورث.

ويذكر أن سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما كسر الأصنام ووضع الفأس على رقبة الصنم الكبير وحضر قومه وفهموا طبعا أنه يسخر منهم ويستهزئ بهم وبين لهم أن هذه هي آلهتكم قد حطمتها لكم دون أن تدافع عن نفسها، فأجابوا بكلمة واحدة "هذا ما وجدنا عليه أباءنا" ، إذن فهم أسرى لعادات وتقاليد أهلهم وهم يعلمون جيدا أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر لكن لا يستطيعون المعارضة.

مثال آخر في مجتمعنا هذا وحتى تستمر قوة العادات يقولون "ربنا ما يقطع لك عادة" فمثلا إذا كنت كل عام تقوم بزيارة جامع الحسين ثم تأتي هذا العام وتقول إنك لن تذهب هذا العام وتبدي الأسباب إما للمرض أو السفر ... إلخ فتكون الإجابة التحذير من قطع العادات "ربنا ما يقطع لك عادة" خوفا من أن يحدث لك مكروه، فهي عملية تخويف الغرض منها الاستمرار في هذه العادة. لهذا فهناك مثل شعبي حاد جدا يقول "قطع الوريد ولا قطع العوايد" بمعنى أن الشخص يموت ولا يقطع عاداته! فكلمة قطع الوريد تعني أن نحافظ على عاداتنا حفاظًا شديدًا حتى وإن كانت ضارة أو سيئة فعادة ختان الإناث فيها ممارسات تضر الفتاة وممارسات فيها عنف ضد المرأة وكل هذه العادات مستمرة لأن هناك تخويف دائم من الخروج على أهلنا.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مثال آخر عن فيلم الزوجة الثانية لو تابعتموه لكاتبه رشدي صالح، فكل الممثلين فيه كانوا رائعين لكن ما يهمني فيه هو المحتوى أو المضمون، فالسيدة التي ذهبت لتضع نفسها بين قضبان القطار حتى يعبر من فوقها فيحدث لها نوع من الذعر حتى تُزال عنها "العكوسات" فتحمل، نرى العادات الاجتماعية هنا مسيطرة إلى أي درجة فهي تريد الإنجاب بأي ثمن حتى لو كان الثمن حياتها لكن كل هذا حتى تحتفظ بزوجها لأنه أيضا تزوج بأخرى سبق لها الإنجاب ظنا منه أنها سوف تنجب معه أيضا وفي هذا جهل مطبق لأن الإنجاب ليس مشكلة المرأة فقط كما أن نوع المولود أيضا يعتمد على الأب وليس الأم، فقط كل هذا من العادات الموروثة والناس تمارس هذه العادات والسيدة المصرية تخاف على كيانها الأسري جدا فهي مستعدة أن تقوم بعمل أي شيء لتثبت هذا الكيان وقد قمت بإجراء بحث عن السحر في القاهرة أي في العاصمة وليس في الريف وتبين لي أن المرأة تقع على عاتقها ضغوط كثيرة وأنها تذهب للمتخصصين والمشتغلين في السحر من أجل الزواج ثم بعد ذلك من أجل الإنجاب وبعد ذلك من أجل إنجاب البنين والبنات بعد ذلك تستمر في الاعتناء بأولادها والعمل على نجاحهم دراسيًّا بعد ذلك تريد أن تظهر جميلة وأنيقة أمام زوجها حتى لا يتزوج عليها وعندما تتأخر بناتها في الزواج تذهب أيضا للمتخصصين في السحر.

إذن القصة الخاصة بالموروث شديدة الوطأة على المرأة المصرية وتأخذ من اهتمامها وجهدها وكل قدراتها الكثير نظرًا لما يفرضه الموروث الثقافي عليها من واجبات وأدوار عندما تشعر أنها غير قادرة على تحقيقها تقوم بعمل أي شيء فمن الممكن أن تذهب للمشتغل بالسحر أو لغيره، المهم أن تنجح في أداء تلك الأدوار ونحن نعلم أن هناك مكانًا بجامع الجيوشي بالقاهرة وهو مكان معروف حتى الآن للنساء غير القادرات على الإنجاب يقمن بالتدحرج عليه أملا في التخلص من صعوبة الإنجاب وهذه الأفعال غير متعلقة بالعلم فأنتم تظنون أن المتعلمة لا تذهب للمشتغل بالسحر وغير المتعلمة تذهب وهذا غير صحيح فهناك الكثير من السيدات المتعلمات يذهبن وحتى الرجال يذهبون من أجل الحب والمال.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

وهناك سببان أساسيان يجعلان الناس يعتقدون ويذهبون إلى المشتغلين بالسحر وهما الخوف والعجز، الخوف من الغد وأيضا العجز في حالة وجود مرض معين وعجز الطب عن شفائه فيقال اذهب "لفلان" وأنك قد أنفقت الكثير عند الأطباء بلا فائدة فاذهب لفلان فتبدأ من هنا قصة العجز عن إيجاد الشفاء لوالده أو ابنه.

التقاليد أيضا والعرف مهمان جدا في سيطرتهما على الناس باعتبارهما من أهم مكونات الموروث الثقافي لكن ما أريد أن أقوله أن اتجاهات الناس والمجتمع ناحية المرأة واتجاهات المرأة نفسها نحو نفسها مهمة جدا، فكيف ترى المرأة نفسها وكيف يراها الناس والمجتمع وهذا ما يسبب تعارضات وتناقضات في المجتمع فنحن مثلا ممكن نحصر النظرة للمرأة المصرية ويمتد ذلك للمرأة العربية في اتجاهات مختلفة فهناك اتجاه تقليدي ومحافظ يرى أن المرأة دورها هو الأمومة فقط بمعنى إنجاب وتربية الأولاد، وطبعا دور الأمومة دور رائع ولا أحد يستطيع إنكاره لكن المرأة لديها طاقات تؤدي دور الأمومة وتؤدي بجانبه أدوارًا أخرى ثم الكذبة الكبرى المعروفة وهى أن البيت مملكة المرأة وأنا أقول إن البيت أيضاً مملكة الرجل فما معنى مملكة المرأة فهي لإشعارك أنك ترتعين في مملكتك وممسكة الصولجان فيصور أنها مملكة مثلما قال لي أحد الزملاء إن هناك سيدة ضحت من أجل أبنائها وبعد ذلك تزوج الأبناء فقالت إنها لا تريد أن تكمل الحياة مع زوجها لأنها كانت باقية لأجل أولادها فكان رده إنه يجب عليها أن تبقى وتستمر في التضحية وتأخذ في النهاية تاج التضحية ويكون هذا التاج جزاء تضحيتها حتى النهاية وأقول إنه تاج وهمي مثل "تاج الجزيرة" في الرواية المعروفة، فهي ضحت بحياتها فقط وهذه هي الاتجاهات المحافظة جدا. ويقول أحدهم لا تخرج إلى العمل أبدا والآخر يقول تخرج وتعمل إنما ماذا تعمل؟ إما مدرسة أو طبيبة ومهنتي التدريس والطب هما أول مهنة امتهنتها المرأة منذ نزولها للعمل قديما، وليس من الآن وأن المرأة التي تذهب للعمل كانوا يقولون أنها محتاجة ولذلك كانت النساء اللاتي يخرجن للعمل نحيفات وكانت السيدات ربات البيوت العكس، فكانت أغلبهن سمينات وكان يعتبر هذا معلم من معالم العز وأن السيدة النحيفة معناها أنه ليس لها كفيل أو زوج يكفلها وليست تعيش في راحة ولذلك تخرج للعمل فهي تلقى الهوان في العمل والمواصلات لذا تكون نحيفة !

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

هنا يتضح أن السماح للمرأة بالتعلم والعمل يكون بشروط إما أن تكون مدرسة أو طبيبة أو ممرضة، يأتي الاتجاه الثالث المتحرر المتأثر بحركة الـ feminists أو تحرير المرأة التي ظهرت في أوروبا وأمريكا، وطبعا كن يطالبن بأشياء عديدة منها ما يتعارض مع ثقافتنا بمعنى عاداتنا وتقاليدنا مثل الاختلاط الجنسي فنحن نعرف أن هذه المجتمعات وهي علمانية إلى حد كبير تنتشر فيها معاشرة الرفقة بدون زواج ومن أشهر من طبقوا هذا الأسلوب اثنان هما سيمون دي بفوار وجان بول سارتر الأديبان المعروفان واللذين ذهبا إلى أنهما يفضلان العيش بإرادتهما الحرة وليس بوثيقة، فهناك الكثير من البيوت بها وثائق ولكن تخلو من أي إرادة أو أي حياة جميلة مشتركة. طبعا هذه مجتمعات ونحن مجتمعنا مجتمع مختلف، والحقيقة وضع المرأة اليوم وحسبما أرى وأؤكد كسيدة وكمتخصصة في علم الاجتماع – أمضت حياة بأكملها في العمل مع المرأة المصرية والعربية ودراستها والوقوف على مشكلاتها الحقيقية ومحاولة إيجاد حلول لها – أن التقاليد والعادات والقيم والموروث الثقافي قد أسهمت إسهامًا كبيراً في النظر للمرأة كجسد وليس كإنسان له جسد، وحتى في الزواج، وهذا يحدث بالنسبة لزملائي الرجال وبالمناسبة لقد تزوجت قبلهم جميعا وقد استعانوا بي لمساعدتهم على إيجاد "عروسة" لهم فكل واحد منهم يبحث عن زوجة يطلب مني المساعدة في إيجادها فسألت أحدهم عن أول صفة يطلبها في الزوجة فأجاب: بيضاء !، فهذه هي الصفة الجسدية الوحيدة التي ركز عليها فلم يطلب أن تكون من عائلة محترمة أو أن تكون مهذبة، إنما تمسك بكونها بيضاء وهي سمة ليست موجودة كثيرًا في مصر لأن معظمنا خمري أو أسمر، فهم يضعون أيديهم على الصفة النادرة ويؤكدون عليها، وهناك مقولات كثيرة أفرزها الموروث الثقافي تمجد اللون الأبيض للمرأة فهناك المثل الشعبي "يا ريتني بيضا وليا ضب ده البياض عند الرجال يتحب" فهذا الضب شيء ليس محبوب في الرجل أو المرأة فهو عبارة عن بروز في الأسنان، لكن المرأة تحب أن تكون عندها هذا البروز إذا كان بياضها سيغلب هذه الصفة ويتغلب عليها وتراثنا مليء بالتمجيد للمرأة البيضاء.

وأتساءل كيف أن شخصًا متعلمًا ودارسًا مثلي لعلم الاجتماع ويقول أريدها بيضاء ويكون هذا هو مطلبه الوحيد؟! هنا يتضح أن الموروث الثقافي هو الذي يحكمه وليس ما درسه

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

من علم اجتماع، فأي رجل في المجتمع لا يُنظر له على أنه جسد في المقام الأول بل ينظر له ككائن اجتماعي ويُنظر للمرأة على أنها كائن بيولوجي في المحل الأول وهذا معناه أن شكلها مهم جدًّا وفي الريف يختارون المرأة بحسب دليل شعبي يتمثل في موال معروف يبدأ بوصف شعرها وينتهي بأدق تفاصيل باقي أجزاء جسمها "شعرها سلب الجمال، وحواجبها خطين بقلام وخدودها تفاح الشام... إلخ"، إذن لكن كل المعالم تنص وتؤكد أن النظرة للمرأة نظرة بيولوجية وجسدية من الدرجة الأولى أما الرجل فننظر له ككيان اجتماعي فهذا طبيب، ضابط، محامي ... إلخ ؛ إذن لا نقول أبيض أو أسمر إنما نقول أو نتكلم على صفات إنسانية اجتماعية في المحل الأول ولا نتكلم عن صفات بيولوجية، ولهذا فالفتاه المصرية تنظر للزواج على أنه نهاية العالم وكل هذا مشحون بدعامات بيولوجية وجسدية كثيرة ولكم أن تعرفوا أن العروسة – وهذا كان في فترة في الريف – كان زوجها لا يرى وجهها وكانت تضع عليه ما يسمى طرحة بمعنى نقاب وعندما كان يكشف وجهها كان يعطي لها نقودًا كأنه ليستحل جزءا من جسدها يعوضها عن كشف ذلك الجزء بالنقود.

وقد أخبرتني إحداهن وأنا أقوم بإجراء بحث في أعماق الريف – وأريد أن أختم بهذه الأقصوصة الكلام عن الموروث – قالت لي إن المهر حق رقبتها ! ولن أقول بعد ذلك أي شيء وأترك لكم أن تفكروا لأي مدى الموروث الثقافي غرس في المرأة المصرية كثيرا من الأفكار التي نأمل في تغييرها وإن كان ذلك من أصعب الأشياء ولكنه ممكن، ولنا أسوة حسنة في إنسان أجله وأقدره وهو **صلاح جاهين** فهو بأغنية غيَّر الكثير من الموروث عن الفرق بين الولد والبنت "لما قالولي ده غلام انشد ضهري واستقام وأما قالولي دي بنية انطبقت الدار عليا" صلاح جاهين قال "البنت زي الولد ماهيش كمالة عدد في الاحتمال والجَلَد مذكورة في المعجزات" بمعنى أننا نستطيع تغيير العادات والتقاليد بطريقة الإحلال فلابد لإلغاء شيء أن يحل محله شيء آخر مقنع وله قيمة.

وفي النهاية لن نتغير من ناحية المرأة كثيرا إلا عندما يتحول جسدها من مجرد عرضه بشكل مثير جدا، وكلنا نرى القنوات الفضائية تتبارى فيما تعرفونه جيداً ولا داعي لذكره إنما

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

هذا كله يوضح لنا أننا ننظر لجسد المرأة على أنه سلعة وننظر للمرأة نفسها على أنها شيء وليس إنسانا وعندما نفكر في المرأة على أنها إنسان وعندما لا تعيش المرأة فقط للآخرين وتأخذ في النهاية "تاج الجزيرة" مثلما يقولون لأن المرأة غير السعيدة لا يمكن أن تسعد من حولها، فالأم لكي تربي أبناءها بطريقة سليمة لابد أن يقوم زوجها بإسعادها والاشتراك معها ولا يوجد شيء اسمه مثلما كانوا يقولون قديما "الأم تعشش والأب يطفش" بمعنى الأم تحتضن أبناءها والأب بالخارج وهذا غير واقعي ولابد أن يقوم كلاهما بالاحتضان لأن الأبحاث أثبتت أن صورة الأب مهمة جدًّا فلابد أن يأخذ الأبناء منه الحنان والتوجيه ولا يكون مرعبًا فقط تستخدمه الأم للتخويف والعقاب إنما لابد أن يراه الأبناء إنسانا سويًّا يعطيهم ويغدق عليهم مثل كل أب حنون وهنا سيدخل الرجل والمرأة في شراكة منتجة ومكتملة وفي النهاية أقول إنه عندما يعي الرجل حقيقة أن تكون المرأة منتجة والإنتاج في رأيي هو الطريق للحرية والاشتراك الفعلي في التنمية مع الرجل بكل صور الإنتاج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وفي النهاية سوف نجد أن اكتماله في أن يلتقي بشقه الآخر وهو المرأة وليس بأن يتناقض معها وسوف يغير ذلك من علاقة المرأة بذاتها وجسدها وبالتالي من علاقتها بالرجل وفي المقابل من إدراك الرجل لها وما يترتب على ذلك من تحول في إدراكه لنفسه لا بوصفه سيدا مهددا في سيادته وإنما بوصفه شقا لا يجد اكتماله إلا في التقاء حر ووحدة خلاقة بشقه الآخر.

صلاح فضل:

شكرًا للدكتورة سامية الساعاتي على هذا العرض الشيق السلس الجميل المفعم بالعلم وبالمعلومات وبما هو أكثر من ذلك بالإحساس بما تدرس وبما تعرض، قد تتصورون أن هذه الأمسية استثناء ضمن دائرة الأمسيات التي تتحدث عن قضايا سياسية ساخنة أو اجتماعية مثيرة لكن الواقع هو أن طبيعة المشاكل المستطرقة المترابطة تجعلنا دائما ندرك الأبعاد المختلفة للظاهرة التي ندرسها ونتأملها من منظورات مختلفة سأفتح باب الحوار بطرح عدد من الأسئلة مستوحاة من المادة التي قدمتها الدكتورة سامية الساعاتي، أوجز أسئلتي باختصار حتى أتيح الفرصة للتعقيبات والأسئلة المختلفة، أسئلتي تتركز في ثلاثة جوانب، الجانب الأول : المرأة متهمة بأنها أشد عناصر المقاومة للتغيير والتجديد وهي ممارسة التقاليد التي تقع أول ما تقع

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

ضحية لها، ومتهمة بأنه ليس هناك من عدو للمرأة غير المرأة نفسها بمعنى أن مجتمع النساء هو الذي يفرض تقاليد التخلف وعادات سلب الحرية على النساء، من الطبيعي أن الرجال يجبون الهيمنة هذا حقيقي وهم أصحاب مصلحة في أن يهتموا بالنساء، أصحاب مصلحة في أن يقعدوهن في المنزل ويمطروهن بوابل من الخوف والترهيب وأن يسلبوهن شخصيتهن، هو صاحب مصلحة مثل المستعمر الأجنبي، الرجل صاحب مصلحة في كل ذلك، لكن سؤالي للدكتورة سامية الساعاتي ما هي مصلحة المرأة في اضطهاد المرأة ؟ ما هي مصلحة المرأة في سلب حرية المرأة ؟ ما هي مصلحة المرأة في تعويق التغلب على الموروث الذي أشارت إليه؟ الأمر الثاني الرجل أيضا هو الذي ينعم أو يتصور أنه ينعم بالمرأة عندما يجعلها تشعر بذاتها كجسد ، الرجل هو الذي طلب منك أن تخطي له فتاه بيضاء فهو يضع شروطه لكن ما الذي يضطر المرأة أن تعامل ذاتها كجسد فقط؟ ما الذي يضطر المرأة أن تحصر قيمتها فقط في بدنها ؟ ما الذي يضطر المرأة أن تهمل عقلها وشخصيتها وفكرها وثقافتها ؟ ما الذي يجعلها شديدة الاهتمام بأن تغطي وجهها وشعرها؟ وأن تنظر لنفسها كجسد فقط ؟ هذه هي المشكلة.

السؤال الثالث : أليست المرأة سريعة التنازل عن كل حريتها مقابل قسط ضئيل جدًّا من الاستقرار عندما يلوح لها أقرب رجل بوهم الزواج والرجال بياعو أوهام دائما يبيعون للنساء أوهامًا، ما الذي يجعل المرأة تتنازل عن كل حريتها مقابل وهم ولو بنسبة ضئيلة من الاستقرار وبيت الزوجية؟ وما الذي يجعل الزواج هو الأمر المقدس ؟

السؤال الرابع :تطوير البنية العائلية في المجتمع لم يتبع من مصر وهي قائدة الدول العربية وأصبحت البنية العائلية والأسرية تتطور بشكل سريع جدًّا من طرفين متناقضين في(تونس) في الجانب التشريعي وفي الخليج في إباحة وتحليل وتعويد المجتمع على أنماط جديدة من الزواج (المسيار- العرفي) تتطور بأشكال العلاقة بين الرجل والمرأة تطورات مختلفة عن مؤسسات الزواج التقليدية لماذا نشأت هذه الأفكار بعيدًا عن المجتمع المصري هل ذلك لشدة محافظة المجتمع المصري؟

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

إبراهيم زيادة:

نحن نضع رؤوسنا في التراب مثل النعام تماما فالمرأة هي المسيطرة في مصر وإن كانت بصفة غير معلنة والحقيقة أن المرأة في الصعيد هي التي تنادي بالثأر والمحرض الأساسي عليه فهي ليست كما مهملا وإنما فقط غير معلنة أما التنمية فموجودة في كل مكان و لم يحجر عليها أحد ومنعها أن تعمل كعالمة، ولا أحد قال لها لا تكوني مثل مدام كوري.

عبد السلام هيكل :

أسأل الدكتورة سامية الساعاتي إذا كانت الحرية التي تطالب بها بعيدة عن منهج الدين الإسلامي أو داخل المنهج الإسلامي فلا يوجد مخلوق على الأرض يعطي لها حقوقها مثلما أعطاها لها الإسلام والرجل المصري إذا كان يثور على كرامته وإنما من اعتزازه بالمرأة المصرية، واسمحي لي أن أخاطبك بنفس لغتك وهي بعض الأبيات:

الحرب ماهياش مدفع ولا بيت بيهده صاروخ
الحرب باقيت جوانا بتهد الدين والمبدأ
يا بنت بلدي يا طيبة يا شابة في عود الصبا
بلاش أحس إنك غريبة خليكي مني قريبة
يا وردة في حضن البلد يا شامخة في أحضان الهرم
يا شرقاوية في طبعها يا راضعة من صدر أمها
كل المبادئ والقيم والنيل بيجري في دمها
الضعف إنتي وقوتي خليكي جنبي ما تضعفيش
وإديني قوة عشان نعيش وسط الديابة والوحوش وفي أصلنا ما نفرطوش
يا شمس شرقي ما تغربيش الشمس طالعة من هنا
والغرب ماهوش مننا حللوا فيك الحرام
ناويين لنزع هويتك خليني أحس بالانتماء
وبلاش تبيعي هويتك يا بنت بلدي يا طيبة

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

سعيد حسن:

أولا: الشكر والتقدير لصورة مشرفة أسعدتني بها الآن الدكتورة سامية الساعاتي وكثيرًا ما سمعت حوارات لوالدها الدكتور العظيم في البرنامج الثاني عندما كنا طلبة في الجامعة، سيدتي الفاضلة أنت صورة مشرفة للمرأة في مصر ونتمنى أن تكون هناك نساء كثيرات أمثال سيادتكم حيث توجد فروق كثيرة بين الرواد من أمثالكم والنماذج المعتادة والتي نعرفها عن المرأة المصرية. ولا أنسى أبدا الشكر والتقدير للسيدة الفاضلة سيدة مصر الأولى سوزان مبارك على أنها خلال المدة الماضية كلها أكثر من عقد من الزمان وضعت المرأة ورعايتها على قمة الأحداث المصرية. ولا ننسى أبدا ونحن في هذا المكان أو المحفل العلمي المقدس الشكر والتقدير للمرحوم الدكتور عادل أبو زهرة المحامي العام عن المرأة المصرية، إنني أتكلم الآن مع صورة مشرفة لفخر نساء مصر وهي الدكتورة سامية الساعاتي ولكني حزين على الصورة المؤلمة عن تاريخ المرأة في مصر أرجو الرد على تساؤلات الدكتور صلاح فضل فنحن شرقيون، وأرجو أن نضع هذه العبارة في عقول المصريين جميعًا رجال ونساء وأن يحفظوها جيدًا حتى يكفوا عن المعارك التي بلا مبرر بين الرجل والمرأة ، إن حق العمل حق ديني وفطري ودستوري للجميع امرأة ورجل بلا تفرقة بينهم ولكن أدعو من هذا المحفل العلمي المقدس وهي شكوى منا جميعًا نحن رجال مصر وفينا الرجل الشرقي الذي سيستمر لأبد الآبدين مهما تعلمنا في أكسفورد- هارفارد.... أن هناك عملية سياسية جهنمية وهي عملية العري للمرأة وملابس المرأة التي نراها في وسائل الإعلام.

سامية طاهر (مديرة برامج تنمية المرأة بوزارة الزراعة):

خلال عملي لمدة 25 سنة في جميع محافظات الجمهورية مع السيدات، لاحظت أن الموروث الثقافي الذي تحدثت عنه حتى الآن لم يتغير بمعنى أننا نحاول أن نتكلم عن الزواج المبكر أو ختان الإناث أو المشاكل التي تخص المرأة حتى الآن يحدث التغيير بنسبة ضئيلة فنرى الأطفال الذين ينجبون أطفالا، فهم يزوجون البنات وعمرهم تسعة عشر عاما، فالمشكلة الأساسية هي الأمية في مصر بالنسبة للسيدات فلو قمنا بمحو الأمية للسيدات التي هي أكبر نسبة في مصر وخصوصًا في الريف فهذا هو أول الخيط الذي نبدأ به لو محونا الأمية كل

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

المشاكل سنحاول حلها فحتى لو قمنا بإحضار شيخ يكلمهم في ختان الإناث وأنه حرام لن يقتنعوا، فلابد من زيادة الإعلام والتعليم بالنسبة للمرأة وبهذا نستطيع أن نقوم بحل ولو جزء بسيط من مشكلة المرأة.

أيمن محمود:

أحب أن أبدي إعجابي بموضوع المرأة وهو موضوع يشغلني منذ فترة كبيرة مثلما قال الدكتور صلاح فضل فقد اهتمت مكتبة الأسرة بها وقامت بطرح سلسلة من الأعمال بالنسبة للمرأة تابعتها وكانت مشاركة حضرتك من أبرز ما استمتع الفرد بقراءتها، لكن أنا لي سؤال عن دور الإعلام ووجهة نظره للمرأة أعني حضرتك استشهدت بأقلام، فاستشهدت مثلا في السينما فيلم أريد حلا لفاتن حمامة، والتغيرات التي حدثت بعدها المشكلة، الإعلام ينظر للمرأة مثلما سبق أن أوضحت أنها جسد كائن بيولوجي ونرجع إلى العصور القديمة "غراء فرعاء مصقول عوارضها وتمش الهوينى كما يمشي الوجيه الوحل" معيار الحكم عليها بيضاء، إن الإعلام – بدلا من تدعيمه للمرأة – يعتبرها عنصر إغراء، في حين أن عليه أن يعتبر المرأة قوة دافعة محركة للمجتمع، فكيف يأتي الآن ويعاملها كجسد؟

فأنا أريد أن أعرف هل ينحصر دور الإعلام – مثلما قالت الدكتورة سامية الساعاتي – في أن نحارب ختان الإناث وغيره من العادات السيئة أم أن نعي بأننا محاصرون بين اتجاهين أحدهما يدعو لتغطية المرأة والآخر يعامل المرأة كمجرد جسد نرجو التوضيح؟

نادية تكلا عضو المجلس القومي للمرأة فرع إسكندرية:

إنصافا للمرأة عندما تحزن أنها ولدت ابنة وليس ابنا، فهي محقة لأن الولد سيجلب الميراث، فالمرأة مظلومة في هذا ومن حقها أن تفرح بأنها أنجبت ولدًا لأنها ستضمن ألا يشاركها أحد في الميراث.

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

سحر جمال:

من ضمن اهتماماتنا الأساسية عن مدى جدوى التمكن الاقتصادي للمرأة في تغيير نظرة المجتمع لها، هذه النقطة الأولى، والنقطة الثانية تتعلق بالنقاط الأساسية السلبية من وجهة نظر حضرتك المفروض تغييرها من حيث الموروث ليكون هناك توازن بين المرأة والرجل.

بوسي عمار:

إذا كان هناك أمل أن نخرج بالمرأة من نطاق الموروث الثقافي لابد أن نخرج بالرجل أولا من نطاق هذا الموروث، لأنه في الوقت الحالي في القرن الحادي والعشرين يحتل الرجل مناصب سياسية عليا ويعتلي الكثير من القيادات وفي نفس الوقت يحتفظ داخله بأن المرأة لا تخرج، فلماذا يخرج هو ويحضر مؤتمرات ويستكثر عليها ذلك؟ وهناك غيره من تعامل مع المرأة كامرأة عاملة مثقفة. فلماذا تتم السيطرة على المرأة الابنة والزوجة ولها طموح أن تخرج وتنتج وهو يرفض هذا؟ فالمشكلة موجودة ومستعصية في كثير من البيوت المصرية وليست الريفية فقط، وهي أن الرجل هو كل شيء، المتعلم المثقف، وداخل المنزل تُقمع الفتاة لا تخرج ولا تتعلم ولا يكون لها نشاط سياسي.

ولي شق آخر نقول إن السيدة الفاضلة سوزان مبارك ساندت المرأة للوصول إلى العديد من القيادات وخاصة في محافظة القاهرة، بالإضافة إلى "حركة سوزان مبارك الدولية للمرأة من أجل السلام"، لكن نحن الآن وعلى الرغم من أن المرأة وصلت كقاضية وكسياسية إلا أنها نسبة ضئيلة جدا، فلو قورنت بنسبة موجودة فهي كقاضية بنسبة 1% فكم نسبتها من الـ99% المتبقية.

السلماوي:

كي تنال المرأة حقوقها يجب أن يتغير التعليم تغيرا كيفيًّا لا كميًّا، ويجب أن يهتم بدراسة حقوق الإنسان وفي مقدمتها حرية الجميع أو حرية الآخر بدون قيد أو شرط، فلو طبقنا ذلك على حقوق المرأة فنقول إنها مخلوق كالرجل ولها نفس حقوقه، ثم نسرد كل

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

البراهين والأدلة على صحة ذلك وبذلك نستطيع هزيمة الرواسب الثقافية كي نعيش في مجتمع تسوده المساواة للجميع.

مها معاذ (عضو هيئة تدريس بقسم الأنثروبولوجيا بآداب الإسكندرية ومنسق لجنة الإعلام بمكتبة الإسكندرية):

الأسئلة التي سئلت للدكتورة سامية الساعاتي شملت ما كنت أود قوله لذلك لن أطيل في سؤالي، فقد غُطيت نقطة وددت قولها وهي الكف عن دراسة المرأة فعلا أو الجوانب التي تكلمت فيها، وقد تكلمت عن جوانب التنمية وهو ما كنت أنتظره من عنوان المحاضرة، فكنت أنتظر أن أرى حلولا لمعوقات الموروث الثقافي والتي تمنع مشاركة المرأة في التنمية بفاعلية فما هي الطريقة؟ وكيف نصل إليها؟ هل بالنشأة أم بالتعليم ؟ هل بالإعلام أم بزيادة الأبحاث؟ ما هي صور المشاركة الفعلية في التنمية الحالية بمصر وكيف يظل الموروث وإلى متى ؟ وكيف نتغلب على هذه المعوقات؟ كنت أنتظر من المحاضرة أن يكون هناك ربط أكثر بين علاقة الموروث الثقافي ومعوقات مشاركة المرأة بفاعلية في التنمية.

صلاح فضل:

كما تلاحظون قدمت الدكتورة سامية الساعاتي مجموعة أفكارها في محاضرتها الشيقة وقدمتم مداخلات عديدة متحاورة ومتشابكة، ولا يمكن أن نطلب منها الرد عليها كلها، لأن 90% منها وجهات نظر، والرد عليها هو الإنصات باهتمام واحترام رأي من أدلوا بها، ولذلك أدعو الدكتورة سامية الساعاتي لتعقيب كلي شامل في عدة دقائق لتقدم انطباعها لا ردودها على هذا الحوار الفني المتشابك.

سامية الساعاتي:

أود أن أقف عند بعض النقاط، أولها أن عالم الاجتماع لا يقوِّم، بمعنى لا يعطي تقييما فأنا لم أذكر في كلامي أن المرأة المصرية مضطهدة، إنما أنا أصف واقعا وسررت أن كلامي أثار

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

كل هذا النقاش والكلام، وسررت أيضا من حديثي والذي تحولت فيه بين ربوع مصر في القرى والذي أعتز به جدا.

وقد سعدت بالتعليق الذي أشار إلى أنه بالتجول في مختلف القرى، نشهد أن تغير الموروث الثقافي بطيء جدا، وأنه ليس هناك تغيير إنما من أجل أن نضع ساقا فوق أخرى ونقول إن المرأة تعمل في كل المؤسسات وهكذا.

وأعجبني كلام الدكتور صلاح فضل ولابد من الرد عليه بالإشارة إلى العلاقة بين الحماة وزوجة الابن، وهي علاقة تقع في نطاق الميكروسوسيولوجي، وهي تتبع العلاقة الحميمة التي يسموها العمة أي أخت الزوج وهذه أشياء يجب معرفتها في الثقافة المصرية والتي لم تتغير وهناك مثل شعبي يقول "عرق ورا الودن يكره مراة الابن" !

تعليقا على تساؤل لماذا تضطر المرأة لأن تُعامَل كجسد هو أن هذا هو الكتالوج الذي ينبغي أن تتبعه المرأة المصرية، فكل امرأة تريد أن تتفادى لقب عانس وتريد أن تكون مطلوبة في سوق الزواج، فالزواج له سوق لأنه عرض وطلب. يوجد للمرأة المصرية كتالوج يوجه حياتها كما أن المرأة الأوربية لها موجهات مثل الرقص ومسايرة اتجاه العصر. فكل مجتمع ينص على أشياء وله متطلبات اجتماعية وثقافية، ومن يقول إنه يجب علينا أن نكف عن دراسة المرأة أقول أنني أحترم هذا الرأي، إلا أنني أختلف مع التاريخ لأننا إذا توقفنا عن دراسة المرأة فإن التغير سريع ولابد من مواكبة التغييرات في بلادنا وفي العالم بأسره. ولمن تقول ارفعوا أيديكم عن المرأة ، وكفاكم دراسة لها أجيب بأنني لن أكف عن دراسة أحوال المرأة والتغيرات التي تتعرض لها حتى أرحل عن هذه الدنيا.